كان فاضلاً، كبيرَ الشَّأن، عظيم القَدْر، ناب عن أبيه في الوِزارة مُدَّة، ولما توفي الوزير أُخذ وحُبس في دار الخليفة، فَغُفِلَ عنه، فهرب إلى الجانب الغَرْبي من بغداد، وواعد بدوياً كان صديقاً لأبيه أن يهرب به، فقال: ادخل جامع بلهيقا حتى أتجهَّز وآتيك. وجاء إلى أُستاذ الدَّار فأخبره بخبره، فبعث وأخذه، وضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً، وأُلقي في مطمورة، [قال جدي في «المنتظم»: فحدثني][1] بعض الأتراك، وكان محبوساً عندهم، أنهم صاحوا من فوق المطمورة: أين ابن الوزير؟ ودلُّوا له حبلاً، فتعلَّق به، وصَعِدَ، فمدُّوه، وجلس واحدٌ على رأسه، وآخر على رِجْليه، وخُنِقَ بحبلٍ، وأُخرج من دار الخليفة ميتاً، [وأما أخوه شرف الدين ظفر، فإنه أخرج من دار الخليفة ميتاً في صفر سنة اثنتين وستين وخمس مئة، فحمل إلى أبيه، فدفن عنده، وكانا من أجلاء الناس وأكابرهم][1].

السنة الثانية والستون وخمس مئة

فيها تزوَّج المستنجد بابنة عمه أبي نصر ابن المستظهر، ودَخَلَ بها في رجب ليلة الدعوة التي كان يعملها كل سنة للصُّوفية وغيرهم، وغنَّى المغني [في هذه الليلة][1]: [من الطويل]

يقول رجالُ الحيِّ تطمعُ أن ترى ... محاسنَ ليلى مُتْ بداء المطامعِ
وكيف ترى ليلى بعينٍ ترى بها ... سواها وماطَهَّرْتَها بالمدامعِ
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى ... حديثُ سواها في خروقِ المسامعِ

وكان مع الصُّوفية رجل من أهل أصبهان، فقام قائماً، وجعل يقول للمغني: أي خواجا جي كفت. والمغني يعيد الأبيات، فصاح، ووقع ميتاً، فصار ذلك الفرح مأتماً، وبكى الخليفة والصُّوفية، ولازالوا يتراقصون حوله إلى الصَّباح، وحملوه إلى الشُّونيزيّة، فدفنوه بها.

وفيها حشد شملة التركماني، وجاء ومعه صبيٌّ من أولاد السَّلْجوقية ليحاصر بغداد، فنزل البَنْدَنيجين، وبعث الخليفةُ إليه العساكر، فنزلوا مقابله وبينهم النهر، فبعث

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الخليفةُ إليه يوسف الدِّمَشْقي، فوعظه وذكر [له][1] ما يجب [عليه][1] من طاعة الخليفة ووبَّخه، فرحل إلى هَمَذان، [فيقال: إن يوسف الدمشقي مات عنده، وقيل في السنة الآتية][1].

وفيها عاد أسد الدين شيركوه إلى مِصْر؛ وهي المرة الثَّانية، وسببه أنَّ العاضد كتب إلى نور الدين [محمود][1] يستنجده على شاور، وأنه قد استبدَّ بالأمر، وظَلَمَ وسَفَك الدَّم، وكان في قلب نور الدين من شاور لأنَّه غدر بأسد الدين، واستنجد بالفرنج، فسار أسد الدِّين من دمشق منتصف ربيع الأوَّل، ومعه [ابن أخيه][1] صلاح الدين، فنزل الجِيْزة غربي مصر على البحر، وكان شاور قد أعطى الفرنج الأموال [العظيمة][1]، وأقطعهم الإقطاعات، وأنزلهم دُور القاهرة، وبنى لهم أسواقاً تخصُّهم، وكان مقدَّمهم الملك مُرِّي وابن بيرزان، فأقام أسد الدِّين على الجِيْزة شهرين، وعدَّى إلى بَرِّ مِصْر والقاهرة في خامس عشرين جُمادى الآخرة، وأصْعَدَ إلى البابين، وخَرَجَ شاور والفرنج، ورتَّب العساكر، فجعل الفرنج في الميمنة مع ابن بيرزان، وعسكر مصر في المَيْسرة، وأقام الملك مُرِّي في القلب في شوكة الفرنج والخيَّالة، ورتَّبَ أسدُ الدِّين عساكره، فجعل صلاح الدين في الميمنة، وفي الميسرة الأكراد، وأسد الدين في القلب، فحمل الملك مُرِّي على القلب فَتَعْتَعَهُ، وكانت أثقالُ المُسْلمين خلفه، فاشتغل الفرنج بالنَّهب، وحَمَل صلاحُ الدِّين على شاور فكسره، وفَرَّق جَمْعه، وعاد أسدُ الدِّين إلى صلاحِ الدين فحملا على الفرنج، فانهزموا، فقتلا منهم ألوفاً، وأسرا مئةً وسبعين فارساً، وطلبوا القاهرة، فلو ساق أسدُ الدِّين خلفهم لملك القاهرة، وإنما عَدَل إلى الإسكندرية، فتلقَّاه أهلُها طائعين، فدخلها، وولَّى عليها [ابن أخيه][1] صلاح الدين، فأقام بها، وسار أسدُ الدِّين إلى الصَّعيد، فاستولى عليه، وأقام يجمعُ أمواله [ويجبي خراجه][1]، وخرج شاور والفرنج من القاهرة، فحصروا الإسكندرية أربعة أشهر، وأهلُها يقاتلون مع صلاح الدِّين، ويقوُّونه بالمال، وبلغ أسد الدين، فجمع عَرَبَ البلاد، وسار إلى الإسكندرية، فعاد شاور إلى القاهرة وراسل أسدَ الدِّين، وأعطاه إقطاعاً بمصر، وعَجَّل له مالاً، فعاد إلى الشَّام، وصلاح

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدين معه، واعتذر إلى نور الدين بكثرة الفرنج والمال، ورأى صلاح الدين لأهل الإسكندرية ما فعلوا، فلما ملك أَحْسَنَ إليهم، [وسنذكره][1].

ثم إنَّ الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شِحْنة بالقاهرة، ويكون أبوابها بأيدي فُرْسانهم، ويحمل إليهم في كلِّ سنة مئة ألف دينار، ومن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله، ويعود بعض ملوكهم إلى السَّاحل، فأجابهم، وهذا كله تقرَّر والعاضد لا يعلم بشيء منه، وسار بعضُ الفرنج إلى السَّاحل.

وكان نورُ الدِّين ينظر من سِتْرٍ رقيق، ويخاف على مِصْر من غَلَبة الفرنج عليها، فسار بعساكره إلى السَّاحل، ففتح المُنَيْطِرة، وقلاعاً كثيرة، فخاف كلُّ مَنْ بمصر من الفرنج، فعادوا إلى السَّاحل، ثم طمعوا في مِصْر، وعادوا إليها سنة أربع وستين [وخمس مئة][1]، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى.

وفيها احترقت اللَّبَّادين وباب السَّاعات بدمشق حريقاً عظيماً صار تاريخاً، وسببه أنَّ بعض الطَّبَّاخين أوقد ناراً عظيمة تحت قدر الهريسة ونام، فاحترق دُكَّانه، ولعبتِ النَّار في اللَّبَّادين، وتعدَّت إلى دورٍ كثيرة، ونُهِبَتْ أموالٌ عظيمة، وأقامت النَّار تلعبُ أياماً كثيرة.

وفيها قدم [أبو حامد محمّد بن محمّد الأصفهاني الملقب بالعماد الكاتب إلى][2] دمشق، فأنزله القاضي كمال الدين الشَّهْرُزُوري بالمدرسة التي بناها نور الدين بنواحي باب الفرج [عند حمام القصير للشافعية][1]، وهي تنسب إلى العماد، وإلى هلمَّ جَرًّا، ثم ولاه إياها نُور الدِّين في سنة سبعٍ وستين [وخمس مئة][1] بعد الفقيه ابن عبد، وكان بين العماد ونجم الدِّين أيوب وأسد الدين شيركوه معرفةٌ، لأنَّ عمه العزيز أحمد بن حامد اعتقله السُّلطان محمود [ابن محمد بن محمد بن ملك شاه][1] بقلعة تكريت لما كان نجم الدين واليها [وقد ذكرناه][1] فانتسجت المودَّة بينهم من هناك، فلما قدم العماد دمشق بكَّرَ نجمُ الدين إلى زيارته بقصد تعظيمه بذلك، وكان صلاح الدين مع أسد الدين بمصر، فمدح العماد نجمَ الدِّين أيوب، فقال: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وفيها قدم العماد الكاتب إلى دمشق، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يومُ النَّوى ليس من عُمْري بمحسوبِ ... ولا الفِراقُ إلى عَيْشي بمنسوبِ
ما اخترتُ بُعدَك لكنَّ الزمانَ أتى ... كَرْهاً بما ليس يا محبوبُ محبوبي
أرجو إيابي إليكم ظافراً عَجِلاً ... فقد ظَفِرْتُ بنجم الدِّين أيوبِ
موفَّقُ الرأي ماضي العَزْم مرتفعٌ ... على الأعاجم طُرًّا والأعاريبِ
أحبَّك الله إذْ لازمتَ سَجْدَتَهُ ... على جبينٍ بتاج الملك معصوبِ
أخوك وابنكَ عِزًّا منهما اعتصما ... بالله والنَّصْر وعدٌ غيرُ مكذوبِ
هما همامان في يومَيْ وغًى وقِرًى ... تعوَّدا ضربَ هامٍ أو عراقيبِ
ليستقرَّ بمصر يوسفٌ وبه ... تَقَرُّ بعد التَّنائي عَيْنُ يعقوبِ
ويلتقي يوسفٌ فيها بإخوته ... والله يَجْمَعُهُمْ من غير تَثْريبِ[1]

وفيها توفي

أحمد بن علي بن الزُّبير[2]

القاضي الرَّشيد، أصله من أُسْوان، وسكن مِصْر، وكان من شعراء شاور وابنه الكامل، وله فيهما مدائح، إلا أنه لم ينجُ من شَرِّ شاور؛ اتهمه بمكاتبة أسد الدين، وأنه أعان عليه، فقتله، وله تصانيفُ حسان، منها كتاب «جِنان الجَنَان ورياض الأذهان»[3]، ذيَّل به «اليتيمة»، وكان قد دخل اليمن، وهو القائل: [من الطويل]

تواصى على ظُلْمي الأنامُ بأَسْرهمْ ... وأظلمُ مَنْ لاقيتُ أهلي وجيراني
لكلِّ امرئ شيطانُ جِنٍّ يكيده ... بسُوءٍ ولي دون الورى ألفُ شيطانِ[4]

وقال يمدح طلائع بن رُزِّيك: [من مجزوء الكامل]

جارى الملوكَ إلى العُلا ... لكنهم ناموا وأَسْرَى

---

(١) الأبيات في «كتاب الروضتين»: ٢/ ١٧-١٨.

(٢) له ترجمة في: «معجم الأدباء»: ٤/ ٥١-٦٦، و«خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ٢٠٠-٢٠٢، و«الروضتين»: ٢/ ٢٥، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٦٠-١٦٤، و«الطالع السعيد»: ٩٨-١٠٢، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٢٠-٢٢٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٩٧-٢٠٣، «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) كان في أربع مجلدات، ولما يصل إلينا.

(٤) البيتان في «الخريدة»، قسم شعراء مصر: ١/ ٢٠٣.

سائِلْ به عَصَبَ النِّفا ... قِ غداةَ أمسى القوم أَسْرى
قسماً بمنْ طاف الحجيـ ... ـج ببيته شُعْثاً وغُبْرا
لولا طلائعُ لم نكن ... نرجو لمَيْتِ المُلْكِ نَشْرا[1]

[وفيها توفي][2]

الخضر بن شِبْل[3]

ابن الحسين بن عبد الواحد، أبو البركات، [الدمشقي الشافعي، خطيب جامع دمشق، ومدرس الزاوية الغربية][4]، ويعرف بابن عبد، كان عارفاً بالأُصولين والمذهب، نَزِهاً، عفيفاً، ذا مروءة ظاهرة، وكرم وافر، دَيِّناً صالحاً، ثقة صدوقاً.

ولد سنة ست وثمانين وأربع مئة، [وسمع شيوخ دمشق أبا القاسم النَّسيب، وأبا الحسن ابن الموازيني، وأبا طاهر الحِنَّائي، وغيرهم، درس بالزاوية الغربية][2] وبالمدرسة المجاهدية، ووقف عليه نورالدين مدرسته التي بباب الفرج، ومنه انتقلت إلى العماد الكاتب.

ظَفَر ابن الوزير[5]

يحيى ابن هُبَيْرة، شَرَف الدِّين.

ناب عن والده في الوِزارة، قال العماد: قال لي ابنُ الوزير يوماً ببغداد: قد وازنتُ قصيدةَ مهيار التي أوَّلها: [من الرمل]

بكَّر العارِضُ تحدوه النُّعامى ... وسُقِيْتِ الغيثَ يا دارَ أُماما

قال: فقلتُ:

أَخْلَفَ الغَيثُ مواعيدَ الخُزامى ... فقفِ الأنضاء تستسقي الغَماما

(١) الأبيات في المصدر السالف مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) مابين حاصرتين من (م).

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٥/ ٦٥١-٦٥٢ (وترجمته فيه من زيادات القاسم على تاريخ أبيه)، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٩٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: ٢/ ١٠١-١٢٠، والأبيات فيه.

وأبحني ساعةً من عُمُري ... أملأ الدَّار شكاةً وغراما
أصف الأشواق في[1] تلك الرُّبا ... وأعاطي التُّرْب رَشْفاً والتثاما
يا ولاة الغَدْر ما دينُكُمُ ... أحرامٌ فيه أنْ تقضوا الذِّماما
أنا مِنْ أَسْرِ الهوى في رِبْقةٍ ... حكمتْ للحرِّ فيها أن يُساما
وطني حيثُ أناخَتْ عِيْسُكُمْ ... ومقامي حيثما اخترتم مقاما

ثم قال لي: وازنها، فقلت: [من الرمل]

خَطَرَتْ تحملُ من سَلْمى سلاما ... فانثنى يشكُرُ إنعام النُّعامى
مُغْرمٌ هاجت جواه نَسْمَةٌ ... يا لها من نسمةٍ هاجتْ غراما
نفحةٌ أذكت بقلبي لفحةً ... كلَّما هَبَّت له زادت ضِراما
يا لأوطاري فقد أَنْشرها ... نشرها من بعد ما كانت رِماما
ذكَّرت ريحُ الصَّبا روحي الصِّبا ... وزماناً كنتُ بل كان غلاما
ونديماً ليَ لم أندمْ به ... يا رعاه الله من بين النَّدامى
قال ما أطيبَ أيام الصِّبا ... قلتُ ما أطيَبَه لو كان داما
أنْجِداني فبنجْدٍ أَرَبي ... حينَ غيري شامَ بالغَوْرِ الشآما
وانشُرا عنديَ أخبار الحِمى ... فبأخبار الحِمَى قلبيَ هاما
ناظري من دمعتي في شُغُلٍ ... فانظُرا عنيَ هاتِيكَ الخِياما
عَلِّلاني بأحاديثهم ... فأحاديثُهمُ تَشْفي الأُواما
هذه أطلالهم تشكو الظَّما ... فدعا الأَدْمُعَ تنهلُّ انسجاما
وقفا نَسْتَنْسِقِ جَدْوى ظَفَرٍ ... فهو من بخَّلَ بالجود الغَماما

من أبيات.

وقد وازنها جماعةٌ، ولم يبلغ أحدٌ شأو مهيار في قوله: [من الرمل]

حَمِّلوا ريح الصَّبا نَشْرَكُمُ ... قبل أن تحمل شيحاً وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى ... [إن أذنتم لجفوني أن تناما][2]

(١) في (ح): إلى، والمثبت من «الخريدة»: ٢/ ١١٠.

(٢) ما بين حاصرتين من «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١١٧.

ولما مات الوزير عزمَ ظفر على الخروج من بغداد، فَقُبِضَ عليه، وقُتل، وأُخرج ميتاً في صفر، فحمل إلى أبيه، فدفن عنده.

محمد بن الحسن[١]

ابن علي، أبو المعالي ابن حَمْدُون، الكاتب، كان فاضلاً فصيحاً، وله اختصاصٌ بالمستنجد، يجتمع به ويذاكره، وولاه ديوان الزِّمام، وكان كريمَ الأخلاق، حَسَنَ العِشْرة، وكتابه «التذكرة»[٢] كتابٌ نافع، وتوفِّي في ذي القَعْدة، ودُفِنَ بمقابر قريش، وكان صدوقاً ثِقَةً.

الموفق بن أحمد[٣]

ابن محمَّد الخُوارَزْمي، أبو المؤَيَّد، خطيب خوارزم، قدم بغداد حاجاً سنة نيف وأربعين، وعاد إلى خوارزم، فتوفي بها، ولما حَجَّ رأى الخدم يُلْبِسُون الكعبة السِّجاف، فقال: [من البسيط]

أملبسَ البيت أستاراً ظواهرها ... تبلى كما بليت يوماً بواطنُها
الله ألبسه من فَضْلِه خِلَعاً ... يبلى الزمان[٤] ولا تبلى محاسنها[٥]

يحيى بن عبدالله[٦]

ابن القاسم، تاج الدِّين الشَّهْرُزوري.

كان فاضلاً شاعراً، وكانت وفاته بالموصل، ومن شعره يوازن قصيدة مهيار التي يقول فيها: [من المتقارب]

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢١-٢٢٢، و«الخريدة»، قسم شعراء العراق: ٢/ ١٨٤، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٣٨٠-٣٨٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٣٥٧، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٣٢٣-٣٢٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٠٦.

(٢) حققه د. إحسان عباس، ونشرته دار صادر في بيروت سنة ١٩٩٦.

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم «شعراء أصبهان»: ٢/ ١٧٣-١٧٤ وفيه توفي بعد الستين. و«إنباه الرواة»: ٣/ ٣٣٢، و«العقد الثمين»: ٧/ ٣١٠-٣١١، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٥٢٣، و«بغية الوعاة»: ٢/ ٣٠٨، وفيها وفاته سنة (٥٦٨هـ).

(٤) في النسخة الخطية لا تقرأ، وأثبتها من إحدى نسخ «الخريدة».

(٥) البيتان في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٦) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم «شعراء الشام»: ٢/ ٣٤٠-٣٤٢ وفيه توفي سنة ٥٦٦هـ، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٥ وفيه أنه توفي سنة ٥٥٦هـ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣، وفيه توفي سنة ٥٥٦ هـ.

وعَطِّلْ كُؤوسك إلا الكبار ... تجد للصِّغار أُناساً صِغارا[1]

فقال يحيى: [من المتقارب]

وَسَقِّ الندامى عقيقيَّةً ... تضيءُ فَتَحْسَبُ في الكأسِ نارا
تدور المسرَّة مَعْ كاسها ... وتتبعُه حيث ما الكاسُ دارا
ولا عيبَ فيها سوى أنَّها ... متى عَرَّسَتْ بحمى الهمِّ سارا
ستلقى ليالي الهموم الطِّوال ... فبادِرْ ليالي السُّرور القِصارا

[فصل وفيها توفي

علي بن أبي سعد[2]

الأَزَجي، الخَبَّاز، من باب الأَزَج.

ولد سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وسمع الحديث، وتوفي في شعبان.

وسمع أبا القاسم بن الحُصَيْن وغيره، وروى عنه أشياخنا، وكان ثقة، وهو الذي روى عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: لما أخرج الله آدم من الجنة بكى عليه كل شيء إلا الذهب والفضة. الحديث[3]. وهذا الشيخ هو خال يحيى بن بَوْش][4].

السنة الثالثة والستون وخمس مئة

[ذكر جدي في «المنتظم» أن الورد ببغداد ابتاع في هذه السنة مئة][5] رطل بقيراط وحبة. [وقال غيره: وفي هذه السنة][6] زاد ظلم أبي جعفر بن البلدي وزيرالخليفة ومصادراته للكتَّاب والعُمَّال، وتتبّعه لأولاد ابن هُبيرة وابن رئيس الرُّؤساء وغيرهم

(١) ديوان مهيار: ١/ ٣٥٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢١.

(٣) هو موضوع لا أصل له، انظر الفردوس للديلمي: ٣/ ٤٢٤، الموضوعات للفُتَّني: ١٦١، وكنز العمال ٣/ ٢٤٠، وساقه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية»: ٢٧٠-٢٧١ من كلام أبي العباس بن عطاء الآدمي المتوفى سنة (٣٠٩هـ) أو (٣١١هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): فيها بيع الورد ببغداد مئة رطل بقيراط وحبة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٦) ما بين حاصرتين من (م).